أبناء الظلام

رواية بوليسية تامة

تأليف

وليم ليكيه

تعريب

عمر عبد العزيز أمين

تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها الحاج مصطفى محمد

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

ابناء الظلام

الفصل الاول

الفضيحة

ـ واذن فقد مات فجأة ؟!

ـ يقول الاطباء انه مات موتا طبيعيا : وان وفاته كانت بالسكتة القلبية . . .

ـ هذا مايعتقده الناس بالطبع .. لان موته كان خسارة وطنية كبرى .. ولذا كتمت السلطات حقيقة موته.

ـ اما انت يافيليب بولاند .. فانك تعرف هذه الحقيقة وتعرف انهم عثروا بالقرب من جثته على شيء

عثروا على لفافة تبغ ...

ـ واية غرابة فى هذا ؟! .. انه مات وهو يدخن .

فانحنى الرجل الاصلع الى الامام وقال بصوت خافت . ولكنه أجش :

ـ نعم . انه مات وهو يدخن لفافة تبغ . ولـكنها لفافة مسمومة .

انت تعرف ذلك حق المعرفة . . فلماذا تتجاهل ؟!

فقال فيليب بولاند بعد صمت قصير :

ـ واذن ؟

ـ لاشيء .. اردت فقط ان اذكرك بهذه الحقيقة غير السارة . واخبرك انني اعرفها ..

قال ذلك . وحلق في وجه الرجل الجالس امامه ..

فأجاب بولاند .. وعلى شفتيه ابتسامة فاتره ..

ولماذا تتذكر الحقائق غير الساره ؟! انالاأفعل ذلك مطلقا.

فقال ارنولد دوكان وعلى شفتيه خبيثة :

ـ ان مثل هذه الذكريات تفيد في بعض الاحيان

ـ ذلك رأيي أيضا

ولكني اؤكد لك ياارنولد . انه ليس في نيتي بعد الان أن اشترك واياك في شيء من مثل هذه الاعمال الشريره.

فدعنا نتفاهم في شئون اخرى .

فقهقه ارنولد ضاحكا وقال :

هذه الاعمال الشريره ... ها .. ها . من دواعي العجب ان تقول ذلك يابولاند ..

واذن فانا أيضاً شرير !!

ـ انا لم أقل ذلك .

ولكنك ترمي اليه . بعد اذ أصبحت تتردد على الكنيسة كل يوم ..

***

نعم ـ انك تتردد على الكنيسة .. كل يوم . وتلقي على الناس في هذه الناحية دروسا في الدين والاخلاق .

وأغلب ظني انهم يحسبونك مثال الفضيلة والطهر .

ـ اؤكد لك انى أجتهد أن أكون كذلك . من أجل الفتاة على الاقل .

ـ وفي الحق لو عرف الناس هنا في (مدلتون) حقيقة أمرك . لو عرفوا انك الذى ....

ـ صه . . فقد يسمعك أحد .

ونهض بولاند مسرعاً . والقى بصره على الباب المغلق ثم أردف : . قلت لك وأعيد القول ايا ارنولد .

اني أرفض الاشتراك فى أى تدبير جديد

ـ ها . . ها . أولم تكن مسألة بيرك من التدابير الجديدة المبتكرة سيما اذا علمنا أن رديناند بيرك وقع فى غرام سونيا .

فوثب بولاند من مقعده . وحدق فى وجه محدثه مهدداً وصاح .

ـ حذار . . أن تلوك اسم ابنتي فى حديثك مرة اخرى . أو تدفع الثمن غاليا :

تكلم عنى بما شئت . وضايقني ما أردت

اني انسان بسيط أتردد على الكنيسة فى كل يوم : .

ولكني كنت لصا . ويجب أن أعانى من أجل الماضي .

نعم أنا أعترف بكل تهمة ترميني بها . ولكنى لا اسمح لك أن تشرك ابنتى معى .

انها بريئة من كل فعالي . هل فهمت ذلك ؟ ؟

هى بريئة . وطاهرة . ولا تعرف شيئا من فضائح أبيها :

ـ لا تظن ذلك ياعزيزي . فهى الآن فى الثامنة عشرة من عمرها وقد تفتحت عيناها :

وان انس لا أنسى يقظتها فى فبراير الماضى . . فى

« فيلادلفيا » أبان الحادثة المشئومة التي نعرفها .

كان ارنولد دوكان رجلا قصير القامة بدينا . مستدير الوجه . له شاربان قصيران : ورأس أصلع . ووجه تدل تقاطيعه على الحيوية والخفة . والدهاء :

وثيابه تدل على الرشاقة والابهة وتجمل ظاهره يقول بترفه وعيشه الرغيد

« * »

وكان اليوم من أيام شهر أغسطس والهدوء سائدا لا يشوهه غير أزيز الهوام فى الحديقة المجاورة . فلا ضجيج . ولا صخب . ولا جلبة .

وكان فيليب بولاند يعيش فى هذا المنزل المنفرد فى الضواحي عيشة هدوء واطمئنان . . بعد حياة سابقة مليئة بمعنى الكفاح والجهاد . . .

ولم تكن معه غير ابنته سونيا الجميلة . التي يحترمها ويحبها حبا يقرب من العباده . .

• • •

وكان يذهب الى لندن نادراً . ويزورفى بعض الأحيان

ويقرأ كثيراً .ويصطاد السمك قليلا .

وتتكون رياضته من نزهة قصيرة بالدراجة . . مع ابنته سونيا .. وكلبها دسبوت ..

وقد كان فى القرية من يوم أن جاءها. أي منذ ثلاثة اعوام .. أشبه بلغز يحاول أهلها ان يعرفوا كنهه .. ويتغلغلوا فى بواطنه لكنه ظل يعيش عيشة هادئة . منعزلة. ولا يختلط بالناس الا فى الكنيسة . . ولا يترك لأحد ان يتداخل فى شئونه . . أو يعرف شيئاً عن حياته . . وثروته وماضيه وحاضره . .

. . .

وقد وقف فى غرفته الصغيرة يحملق فى وجه الرجل الذى اجتاز نصف أوروبا ليقابله . . والذى كان يتكلم عن ابنته الوحيدة التي يعيش من أجلها. والتى هى الحلقة الوحيدة التى تربط بينه وبين ماضيه الاول حين كان شريفاً ترحب به الحياة . . ويبسم له المستقبل .

وقد كان فى ابان حياته المحمومة يحتفظ بهذه الابنة بمعزل عن الناس مخافة ان تصل اليها كلمة تنبئها عن الوالد الذي

تحبه وتحترمه.. وترفعه فوق سائر الخلائق

نعم . أنها حقيقة مريرة . مريرة جداً .

وهو يؤثر الموت على أن تعلمها ابنته

كانت هى المخلوق الأوحد الذى بقى له ليحبه ويحترمه

. . .

وكان تأثيرها عليه شريفا ومجرد مرآها يوقظ فى نفسه العناصر الطيبة الراكدة فى جوانبها .

حتى راح يجاهد جهاد الابطال منذ عام .. ليطهر نفسه من أدران الشر ويعيش عيشة شرف واستقامه

ولطالما جعلته كلماتها اللينة الرقيقة يمقت ماضيه . ويثور على نفسه .

أنها كانت تجهل الحقيقة المرة ولا ريب . كما كان يجهلها صديقه الوحيد فى القرية .. المستر شتلورث . قسيس الكنيسة .

وفى الحق . لقد كان موقفه ذلك غريبا

فهو بين عاملين .. متناقضين . عامل الاغواء .. وعامل التوبة .

عرض عليه دوكان صفقة لايمكن بأى حال أن يقل نصيبه فيها عن عشرين الفاً من الجنيهات لكنه رفض حبا ف حنانه .. ذات العينين الزرقاوين والشعر الاشقر

. . .

وكانت قد استيقظت فى نفسه فى الايام الأخيرة بعض الذكريات القديمه

تذكر «الفيلا» الكائنة فى (يوليو) بين مدينة (نيس) ومونت كارلو . . وماوقع فيها من فظائع وعنف..

وكان مستحيلا عليه أن يمحو من صفحة ذهنه أهوال تلك الذكريات.

حتى بعد أن استقام واطمأنت له الحياة .

وها قد جاءه دوكان من جديد يريد أن يسلك به الطريق المحفوفه بالاشواك فهو يعرض عليه صفقة رابحة . لا يمكن البوليس أن يهتدى فيها الى شيء

لكنه رفض . فراح دوكان ينفخ الحياة فى جريمة مهمة شغلت العالم أجمع . . فكانت لها نتيجة سياسية ذات بال . . . إذا قلبت مصير أمة بأسرها رأساً على عقب .

كان رجل معلوم .. رجل مشهور قد توفى بطريقة سرية . ولم تكن علاقة فيليب بولاند بتلك الوفاة معروفة الى ذلك العهد . أو أنه ظن أن علاقته بها غير معروفة . الى أن جاءه دوكان . ودار بينهما الحديث السابق . فعلم أن السر شائع وانه مأخوذ بجريمته

وبذلك أصبح الموقف دقيقا .. وخطرا .. صمت وهو مملوء عجبا ..

كيف اتصلت بدوكان هذه المعلومات ؟! وما هى كل معلوماته !

وما مبلغ تلك المعلومات ؟

صر بأسنانه رجزا .

كان يريد الا تطلع على الحقيقه شمس النهار

هى حقيقة خارصة :. تخدش امة كبرى فى شرفها .. وتدمر مساعيها .

اذن فارنولد دوكان يعرف الحقيقة . هذا امر لا ريب فيه

ولكن هل يريد ان يتخذ من معلوماته سلاحا ليضطر فيليب بولاند ان يشترك رغم أنفه فى الصفقه : التى حدثه بها !!

وأخيرا : وبعد صمت طويل : رفع رأسه وقال :

ـ ومن إنباك ان ابنتي سونيا تعرف شيئاً ؟!

ـ اذ فكرت مليا فى حادثة الشاب الروسى الذي خرج عليكما فى الحديقة فى تلك الليلة المقمرة . لم يعد عندنا شك فى انها تعرف حق المعرفة مصدر النقود التي تحصل عليها والدها فى فترات

ـ ان سونيالا تعرف اللغة الروسية فقد تكلم الشاب الذي تذكره بهذه اللغة .

ومع ذلك فقد كنت مغفلا .. يوم ذهبت بها الى ذلك المكان الملعون . انها كانت سعيدة دائما فى فندق . لكسبرج بمدينة نيس . ولم نكن قط نرتاب فى اسباب غيابي

فقال الآخر وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ كل منا كان مغفلا فى وقت ما يافيليب .. ولكنى اعتقد انك لن تكتم أسرارك عن الفتاة طويلا . .

انها ليست طفلة كما تعلم

فصاحَ الرجل بصوت اجش .

ـ لايجب ان تعلم شيئا . لايجب . لايجب .

ـ اذن فاشترك معنا فى الصفقة التي ذكرتها لك.وسأدفع لك أجراً كبيراً

ـ كلا . أنا . أنا لااقدر .واذا ارتكبت بعد الآن اثما فلن استطيع ان انظر فى عينيها الصافيتين الطاهرتين

لقد كانت أمها اشرف امرأة تنسمت هواء هـذا العالم الشرير . و .

فقاطعه الآخر بسرعة :

ـ أنا اعرف كل هذا . اعرف مأساة زواجك . ولكن هذه مسألة مرت عليها سنوات عدة .فدع الماضي يدفن نفسه. وانظر الى الفرص التي تهيء لك مستقبلا رغيداً

اسمع نصحي يافيليب . ودعك من مسألة ابنتـك . وخوفك من أنها تعلم.فهي ستعلم حرفة أبيها عاجلا .اوآجلا. هذا اكيد.

ـ أنني اعطيتك جوابي

قال دوكان وهو ينهض

ـ فكر جيداً .

ـ ثم ازدف بصوت خافت :

ـ انك قد تتورط فى مسألة (بيرك). وعندها لا ينقذك أحد غيرى . أنا ورفاقي .

تذكر ذلك .

ـ اترضون على ذلك مقابل مساعدتى لكم ؟؟

فأطرق ارنولد برأسه علامة الايجاب .

حينئذ نهض بولاند بوجه كالح . وشفتين مرتجفتين ـ وحلق فى وجه محدثه :

فهم المعنى الذى يرمي اليه . فصاح بصوت أجش فيه مافيه من التأنيب المرير :

ـ ارنولد . تستطيع ان تقلب عدوآ لي . وتستطيع ان تخبر البوليس بالحقيقة . اما جوابي فلن يتغير :

أنا لن اشترك معكم فى هذه الصفقة :

ـ هل أنت مستعد للقبض عليك ؟؟

ـ اذا كانت هذه ارادتك فنعم .

ـ وابنتك ؟ :

ـ هذا شأني

ـ على رسلك اذن :

وتناول الرجل الاصلع قبعته وعصاه . وانصرف في هدوء . .

وجد فيليب بولانجر موضعه .

تمذ السم . وافتضح سره الظليم :

وثب الى الحديقة ليدعو زائره . لكنه عاد فوقف بعد ان تقدم بضع خطوات .

كلا . .

خير له أن يلقى جزاءه . ولا يشترك مع هـذه العصبة الشريرة . ويضيف جرما على جرم

الفصل الثانى

بين زائرين

فى تلك الليلة .. جلس فيليب بولاند يتناول الطعام وحده . وبمقربة منه خادمه الأمين فليكس .

راح يجيل الطرف حوله فى تلك الغرفة الأنيقة. ويفكر فى أنه يتناول الطعام فيها لآخر مرة .

نعم . كان لابد له ان يختار أحد امرين . الفرار . أو الوقوع فى أيدى العدالة

وكان يشعر ببعض الارتياح لأنه وحده فهو بحاجة الى الانفراد والتفكير وتقليب الامور على وجوهها .

وقد كانت سونيا فى لندن . تزور صديقة لها . ولا ينتظر أن تعود قبل الغد :

تبدل فيليب . . . وصار رجلا غير الرجل . فلما انصرف شريكه القديم ارنولد اصفر وجهه بعد احمرار وصارت عيناه كعيني المحموم . . . براقتان حائرتان .

ولما انتهى من طعامه. راح يشرب القهوة بوجه متجهم ويفكر

قد قرب سره أن يفتضح وقربت حياته الشريرة على الانتهاء

حبس رأسه المحموم بين كفيه وراحت آلاف الخواطر تتزاحم فى ذهنه ..

كان يريد أن يستقيم. وها هى الاستقامة تجر عليه الويل والثبور وعظائم الامور

والآن . اذا اتضح سر الجريمة التى خفيت على الاطباء وافتضح سر لفافة التبغ التي قضت على السكرتير البرلماني الشاب فان سلسلة من الفضائح ستجر بعضها بعضا .: ولكن هل يمكن فى هذه الحالة أن تستأنف السلطة ذات الشأن تحقيقها بعد اذ قرر الاطباء ان الوفاة طبيعية وبالسكتة القلبية ؟ : .

اذا سكتت هذه السلطات فان الجمهور يتكلم والجرائد تضج . وهنالك الطامة الكبري . . .

فكر فى الافلات . ولكن اين المفر . ؟؟؟؟

أولئك الذين يصرون على ان يدفع الثمن . سينقبون عليه مشارق الارض ومغاربها..

كلا . كلا الموت اقرب من الفرار. وافضل من السجن والعذاب!

وحين فكر فى الانتحار : . لعبت على شفتيه ابتسامة

بالانتحار يستطيع أن يهزأ بالجميع ولكن سونيا سونيا

وتاوه من قلب مثقل

وأخذ يقلب وجوه الرأى ويضرب اخماسه لاسداسه

الى أن دخل عليه خادمه فليكس الذى حار اهل القرية فى امر

سكوته الطويل : وتجهمه الذى لا تشرق عليه ابتسامة

وقال لسيده أن مستر شتورث قساس الكنيسة قد جاء

فلم يولاند تشعث نفسه ونهض فى الحال وهو يقول

— آه نعم ما اشد حمقى وغباوتى قد غاب عنى انى دعوت

هذا الرجل الطيب الى بيتي قل له أن يدخل

فخرج الخادم وابتسم بولاند عرارة وقال

ما أعجب هذا !!!!!! لو عرف القسيس الطيب أى انسان

أنا وأى جبل من الجرائم تقع تبعتها على

وتقابل الرجلان فى الحديقه . وشد كل منهما على يد

صاحبه بحرارة

كان بولاند يحب ذلك القسيس فان له فكراً راجحاً .

وروحا حصيفا : : . .

وقد رأي من خير الدنيا وشرها مارأي غالب الناس ..
فهو قد كان رجلا قبل أن يكون قسيساً .. وكان رجل دنيا قبل
أن يكون رجل آخرة

قال القسيس :

— كنت اخشى ألا اتمكن من المجيء الليلة فقد كنت
عند السيدة ديكسون. والمسكينة مريضة مشرفة .

ـ إذن لم تذهب الى مأدبة اللادى (ميدلاند)

ـ كنت أود الذهاب من صميم قلبي .. ولكني لم استطع:
انى اخشى ألا ترى السيدة دكسون شمس الغد .

وقد سألتني عن ابنتك.. وأنت لا تعلم كيف أصبحت
ابنتك سونيا محبوبة من الجميع ..

ـ سونيا ستعود من المدن غداً .. بعد الظهر، وسأرسلها
الي السيدة ديكسون حالما تعود

ـ هذا إذا بقيت المسكينة على قيد الحياة ..

وساد السكون ..

• • فكر بولاند .. البس فى الموت راحة من متاعب
الحياة !!

ولا ريب أن القسيس لم يكن يشعر بالعاصفة الثائرة في نفس الرجل المادي، الجالس بين يديه .. وطبيعي أنه لم يكن يعلم أنه رجل هالك . محكوم عليه بالموت .

وقد ترك بولاند زميله يتكلم . ويثرثر . وراح هو يستعرض مركزه المحرج . فشعر بحاجة الى انسان يركن اليه . ويبوح له بسره . ويتزود منه بالنصح . .

فهل يميط اللثام عن نفسه للقسيس ؟؟

وبدأ القمر يرتفع .. ويلقي على الكون سيلا من اشعة الفضة

وظل الرجلان يدخنان . . . ويتحادثان . . ودهش القسيس لعلائم القلق البادية على وجه مضيفه . .

ومن ثم بدأ الهواء البارد يصفر في آذان الاشجار .. فنهض الرجلان . . وقصدا الى غرفة المكتب

وحين اوصد بولاند الباب وراءه . كان عزمه قد صح على مصارحة القسيس بأمره

قال بصوت اجش :

شنورث . اريد ان افضي اليك بمسألة خاصة . وان اسألك المشورة.. ولكني متردد لان المسألة في شدة الخطورة

لانى اخاف .

فقاطعه القسيس بسرعة :

ومم تخاف ؟؟.

انى اذا تكلمت : وجب ان اكشف عن نفسى ما يشينها . . . ويشوهها فى ناظرك . .

نعم . . ان الحقيقة مخجله . . وجارحة ولكن هل استطيع ان اعتمد على كتمانك ؟؟

ماتبوح لى به سيبقى سراً مقدساً . فلا تنسى اننا معشر القسيس مستودع اسرار الناس ... فنحن نسمع اعتراف من يريد الاعتراف . . ونحن نساعد الخاطىء على التكفير فتكلم فلا ضير عليك .

فصاح بولاند بحدة .

ـ اتقسم بالا تبوح بشىء

ـ لقد اقسمت قبل الآن امام هيئه خطيرة . من رجال الدين

وهنا غاص بولاند فى مقعدة :

وبصوت خافت . ووجه مكفهر . راح يقص تاريخ حياته كان أغرب تاريخ نطقت به شفتا رجل فى رأسه ذرة

من العقل . تاريخ يجعل السامع يحبس انفاسه عجبا وذهولا .

وكان وهو يتكلم . لا يفتأ يتأمل النار التى تتلظى فى الموقد بعينين تائهتين . فلم يبصر قط سلسلة الألوان التى تقلبت وتعاقبت على وجه القسيس .

وأخيرا . وبعد ان أعترف . . رفع الى القسيس عينين شاردتين يبدو فيهما العذاب بكامل معناه . وسأل بلهفه .

ـ هل تنتظرنى رحمة فى السماء ياشاتاووث ؟ قل أن الله سيغفر لى . .

انني قلت لك الحقيقة . لأنى أريد متى مت أن أترك ابنتى بين يديك فتعنى بها

ابنتى العزيزة .

أن مركزها المالى قوى . واعا .

وسكت لحظة . ثم عاد فاردف بصوت الحيوان الجريح

ـ اعا لايجب أن تعلم باى حال من كان أبوها ؟

فقال القس :

ـ صه ياىولاند . أنى وان كنت البس ثياب الكهنوت ألا أنى لا أزال من رجال الدنيا . وبين جنبي قلب أنسان .

اعلم يابولاند انني أيضا لم أقض حياتي بغير خطيئه ..
انت تريد الآن ان تكفر عن ذنوبك فواجبي أن اساعدك

...

قال ذلك . و سط [illegible] ال محدثه . فشد الآخر عليها
[illegible] ترقرقت ال[illegible] في عينيه

ثم قال بصوت يختلج :

ـ انني لا ألتمس الأعذار لنفسي . فانا اص شرير . ولا
استحق صداقة رجل أمين مخلص مثلك

ولكني احب ابني يا شاملويث .. أنها كل ما تبقى لي في
الحياة و[illegible]ود ان [illegible] [illegible] مثله . مثل زوجتك .

وأريد فوق هذا وذاك شريفة تنسى سونيا والدها ..
وتنسى من كان ..

فصاح انتسر :

ـ كفى . كفى .

...

وقضى الرجلان بعد ذلك وقتا طويلا وهما يتحادثان

...

وفي اليوم الثاني . . كان فيليب بولندا حديقته في يطالع كتابا .. أو يجتهد في ان يطالع

ولكن فكره كان ابعدما يكون عن محتويات الكتاب كان يفكر في خصمه ارنولد وكابن .. وفى قوة هذا الخصم على الاضرار ؟

وبدأ يشعر ان كبرياءه واجراره وعنادة كل ذلك سيؤدى الى نتيجة محتمة ... هى فقدانه حريته وربما حياته ايضا

ولكنه مع ذلك ظل مصراً ..من أجل سرنيا..

انه استحال من أجلها رجلا أمينا . . فيجب أن يظل قوى الارادة .

* * *

وفيما هو يفكر فى كل ذلك . . اذ أقبلت ابنته وطبعت على جبهته قبلة طويلة :

كانت فتاة فى مقتبل العمر . سوداء الشعر زرقاء العينين . ممتلئة قوة وشبابا . .

فتناول والدها يدها . وحدق فى عينيها بعطف وحنو ثم قال لها بصوت خافت :

ـ كنت انتظرك على أحر من الجمر : . أنا لا أطيق الحياة بعيداعنك

* * *

وفى ذلك المساء . . بعد أن تناول الاثنان طعام العشاء . ونهضت سونيا وأخذت تعزف على البيانو . . جعل والدها ينظر اليها طويلا . . ثم قال لها :

ـ اسمعي يا سونيا . . أريد أن أحدثك جديا فى أمر هام

* * *

فنهضت الفتاة واستولت عليها الدهشة . . فان والدها لم يكلمها قط بمثل هذه اللهجة . .

قال فيليب :

ـ طالما تساءلت يا ابنتي عن أمر مستقبلك .. فانه يحتمل أن اذهب . . . أن اذهب فى رحلة بعيدة : . تستغرق وقتا طويلا : . ولا يكون فى وسعي أن أصحبك معى

* * *

فهتفت الفتاه :

ـ أنت تتركني يا أبي ؟ ؟ كلا . . أبداً : : انت تمزح .

ماذا استطيع أن أفعل بدونك

انت والدي المحبوب . . وصديقي الوحيد في هذا الوجود

فغر لون الرجل . وقال بصوت يختلج

— يجب ان تحاولي العيش بدوني . وان . وان تنسي

والدك :. فاني لا استطيع ان آخذك معي . بل ان ذلك من

المستحيلات

صمتت الفتاة . وأخذت تضم اصابعها وتبسطها بشكل عصبي

ثم صاحت .

ولكن ماذا افعل بدونك يا بي

ولماذا تتكلم هذا الكلام الغامض ؟ ؛

انك تخفي عن اشياء كثيرة سيما ما يتعلق منها بالماضي

تذكر يا بي انني الآن في الثامنة عشر من عمري فتستطيع

ان تكلمني كما تكلم امرأة عاقلة رشيدة . ولماذا كل هذا الغموض ؟؟

فقال الرجل بلهجة غريبة

— الامر ليس بيدي

وكان يمكنني ان افاتحك بكل شيء ولكني اخشى

أن تظني بي سوءاً ولذلك افضل الكتمان وافضل ان تظل لي

حبك لى لان

ولم يتم قوله : . لان الباب فتح فى تلك اللحظة ودخل فيلكس وقال افيايب بولاند.

يا باب رجل يطلب مقابلة سيدى لامر هام

وسيدي لا يعرفه : كما يقول لرجل واسمه ماكس موريل وهي يصر على مقابلتك في الحال

فامتقع وجه بولاند

ترى من عساه يكون هذا الزائر ؟

ولماذا يلح في مقابلتى فى مثل هذه ساعه؟؟

كانت الساعة وقتئذ الحادية عشر مساء

التفت الى ابنته وقال :

ـ هل لك ان تتركيني لحظة لارى هذا الرجل ياسونيا

فأطاعت الفتاة وخرجت .

وبعد لحظة فتح الباب مرة اخرى ودخل رجل فرنسى متوسط القامة : له لحية قصيرة : ويضع على عينيه عوينات ذهبية . :

وما كاد بولاند يراه حتى هرب لونه

قال الزائر بالفرنسية

ـ لاداعى لذكر اسمى : فانت تعرفنى ولا ريب ياسيدى

ـ نعم : انك المسيو هنرى جرتان : رئيس البوليس السرى بباريس :

اننا تقابلنا مرة قبل الآن : على ما اتذكر

ـ وانت تعرف ولا ريب الغرض من زيارتى :

فأجاب الرجل التعس :

ـ اظن انني اعرف : انك جئت لتقبض على

فأرسل البوليس السري بصره الى الباب بسرعة ثم اقترب وقال بصوت خافت

انني ماجئت لاقبض عليك : وانما لاعرض عليك فرصة للفرار

فهتف الآخر :

ـ فرصة للفرار

وامتقع وجهه : :

ـ نعم: اصغ الي . عندي تعليمات ان اعرض عليك وسيلة

للافلات من القبض وعذاب السجن : : والتحقيق وهول العقوبة . ، ،

وتلك الوسيلة هى الانتحار

فقال بولاند بعد صمت قصير :

ـ الانتحار !!! . آه . . فهمت : . الحكومة لا تريد أن يفتضح الامر . :

ـ هـذا هو كل ما عندى من التعليمات

ورفع يده مؤكدا قوله . . وعندئذ لمت فى الضوء الكهربائى ماسة كبيرة فى خاتم حول أصبعه : .

قال رجل البوليس :

ـ عندى موعد فى منتصف الليل : . على بعد نصف ميل من هذا المكان . . مع المستر واتس . . مفتش البوليس باسكتلند يارد (١) . الذى لديه تعليمات بالقبض عليك وارسالك الى فرنسا . فاذا عدنا ووجدناك على قيد الحياة . نفذنا الاوامر والقينا القبض عليك : ومن ثم تكون المحاكمة وتكون

---

(١) اسكتلند يارد هى دائرة البوليس الانكليزية . .

بعد ذلك الفضيحة و....

فصاح بولاند .

وفضيحتى سوف يكون من نتائجها اسقاط وخراب اولئك اللصوص السياسيين الذين يقبضون الآن على أزمة الاحكام :

وأكبر ظني انهم غير راضين عن وتوعى فى ايدى البوليس

قال البوليس السرى :

ـ وانت بدورك غير راض لان يعلم الناس وسيما ابنتك بماضيك الحافل بالاهوال :

قال ذلك وغمز بعينه بشكل خاص ثم اردف :

انني جئت لاعرض عليك امرا وقد فعلت وسأذهب الآن ،،،

وعند منتصف الليل : سأرجع اليك وآمل أن أجدك قد فررت من الثقب الذى سمعت لك به السلطات بمنتهى السخاء والكرم

قال :

ـ واذا هربت ، هل تطاوعني ؟؟

فقال البوليس السرى :

سيكون ذلك من واجبنا

ليس امامك اية وسيلة للفرار الا بالموت.

ويؤسفنى جدا أنه اطرح امامك الحقيقة بهذه الخشونة

ولكنك تعلم قبل غيرك اهمية الامر

وعليه . فلم يعد امامى الا ان اقول لك الى اللقاء . حتى منتصف الليل

. . .

ثم احنى رأسه باحترام شديد حتى لكأنه يحنيها امام احد الملوك . وخرج ببطء وهدوء كما دخل

. . .

لم تبق امام فيليب بولاند غير ساعة واحدة ومن ثم تكون حلكة القبر الابدى

تصلبت اعضاؤه : واصفر وجهه اصفرارا شديداً . حتي بات يحاكى وجوه الاموات

* * *

اذن قد اوقع به عدوه اللدود ،،

واذن قد كلفه اصراره حياته :
وا آسفاه

. . .

ومن ثم أخذيذكر كلمات التشجيع التى فاه بهاشالورث
انقضى ثلاثة ارباع الساعة ، ولم تبق غير خمسة
عشر دقيقة

. . .

دخلت الفتاة وهى تمشى بخفة ووجدت أبلها جالساً امام
الموقد ينظر الى النيران المتأججة فيه والي ماوراءها
ثم شعر بيد ابنته على كتفه فانتبه وصاحت الفتاة بفزع
ـ ماذا بك ياابتاه : . ولماذا انت ممتقع الوجه هكذا ؟
هل انت مريض ؟ ؟ هل استطيع ان اساعدك بشيء
فقال الرجل القانط بصوت خشن متحشرج
ليس بى من شيء يا بنتي . ليس بي من شيء
كل ما هنالك ان بعض الاخبار باغتتى فكدرتني قليلاً هذا
كل ما فى الامر
ولكن تعالى . ودعيني اقبلك ياابنتى . فقد كان وعد

موعد نومك

* * *

وجذبها اليه :وطبع على جبهتها الناصعه قبلة رقيقة أخيره

فقالت الفتاة بقلق

— ولـكن ياأبى :. لااستطيع فى الحقيقة أن أتركك على هذه الحال :. انك مريض . انك لست كعهدي بك .

* * *

وما كادت تنتهي من قولها . حتى فتح الباب . ودخل فليكس وهو يقول بصوت يتهدج :

— سيدي .. هل تسمح بان احدثك على انفراد

فتحرك الرجل فى مقعده بعنف . ثم نهض ,ولحق بالخادم

وكان هذا الاخير شاحب الوجه . مرتجف الاوصال

همس الخادم :

— مولاى . قد حدثت مصيبة كبرى . . .

لقد دخل دافيز الحوذى الاصطبل فوجد به جثة رجل قتيل . . .

فهتف بولاند

— قتيل ! !

من هو !!

قال الخادم :

— اعتقد انه السيد الذى زارك هنا منذ ساعة تقريبا . .

— يالشيطان ايتني . بمصباح

*
* *

وماهي الا لحظة . حتي كان فيليب بولاند واقفا امام جثة هنرى جرتان البوليس السرى الفرنسوى المشهور الذى اوقع الرعب فى قلوب الاشقياء فى كل أوروبا .

وكان وجه القتيل يدل على منتهى الرعب

فكانت عيناه جاحظتين . . وفمه مفتوحا . .

ولم يكن بجسده اي جرح . اللهم الا خدش بسيط فى يده اليمنى . .

* * *

وقد قال الحوذي دافبز انه كان يريد دخول الاصطبل منذ عشر دقائق . فارتطم بهذه الجثة

ركع فيليب بولاند بجانب الجثة ووضع يده على قلب القتيل : : :

ولـكنه ما كاد يفعل ذلك . حتى سمع وقع اقدام آخذة في الاقتراب . .

وما هي الالحظة أخرى حتى دخل رجل متوسط القامة يلبس عوينات ذهبية :

وحينئذ أفلتت من بين شفتي فيليب بولاند صيحة تدل على منتهى الهول والرعب .

وقال القادم بالفرنسية بصوت الامر ! !

— هالو ..ماهذا

والقى بصره على جثة الرجل المجهول الذى كان يشبهه كل الشبه . فى قوامه وملابسه . وتقاطيع وجهه وعويناته

ثم وجم . وعقدت الدهشة لسانه .

كان الموقف غريباً وغامضاً .

. . .

كان هنري جرتان لايزال على قيد الحياه .

اذن فقد انضحت الحقيقه المخيفة : :

هذا القتيل قد تنكر بمهارة عظيمه . حتى اصبح لا يفرق في شيء عن البوليس السري المشهور

* * *

ومع أن سبب فى هذا التنكر كان سراً غامضا . الا انه كانت هناك حقيقه لا تقبل جدلا

وتلك الحقيقة هى أن الرجل المجهول المتنكر .قتل لأنه كان يشبه هنري جرنان

فمن كان هذا المجهول ؟!

هل كان هو الرجل الذى عرض على فيليب بولاند ان ينتحر ؟!

أم هو هنرى جرنان الحقيقى الذى عرض ذلك ؟؟

. . .

ولكن الحقيقة ظهرت فى اللحظة التالية فقد التفت فيليب بولاند الي البوليس السري بكبرياء وقال له:

ـ ها أنت ترى ياسيدى أنى افضل الوقوف امام المحكمة فى موقف الاتهام. كي يطلع الجمهور على الاسرار الكثيرة التى سوف تنكشف .

نعم . انني افضل ذلك . على قبول الشروط السخية التي عرضتها على منذ ساعة .

فصاح البوليس السرى الفرنسوي :

ـ الشروط السخية التي عرضتها عليك منذ ساعة ؟

ماذا تقول يا رجل ؟

أنني لم اكن هنا منذ ساعة . وإذا كان قد زارك أحـد . فلا بد وأن يكون هذا الرجل المجهول الذي اغتصب شخصيتي . والذي فقد حياته . لأنه تنكر بشكلي .

. . .

فلم يجب فيليب بولاند . بل تناول يد البوليس السري اليسرى وحملق فيها .

لم يجد بها أثراً للخاتم الوهاج . الذي لفت بصره

انحني فوق جثة القتيل . وهناك رأى الخاتم العجيب في اصبعها . الخاتم الذى كان في يد الرجل الذي زاره منـذ ساعة واحده .

الفصل الثالث

من هي ؟

وهنا استسمح القراء فى الكلام عن نفسي . فان ذلك اقرب الى تفهيمهم. وتصوير الحوادث الهائلة التي تورطت فيها بغير تمهل

وأنا اذا كنت اضع على الورق هذه القصة. فانما افعل لسببين. الاول لأنني اعتقد أنها من اغرب الوقائع التى يمكن أن تقع للانسان. والثاني . كي ابريء في نظر العالم اجمع شخصا طاهر الذيل. لا تزال يوصم بما ليس فيه . وتعزي اليه جرائم لم يرتكبها قط . ولم يكن له اصبع فيها .

. . .

وفي كتابتي هـذه القصة . أراني اجازف كثيراً باسرار اؤتمنت عليها . واجازف بتعريض نفسي لانتقادات النقاد . ولكني لا أرى بأساً من ذلك. فطالما أخذت على عاتقي ذكر الحقائق على علاتها وكما وقعت وهى حقائق اشك كثيراً في ان عقول القراء ستقبلها ولكني سأذكر القصة فى سياق سهل .

وأسلوب بسيط . يمدني بصفتي (قصصي) عن وصمة المغالاة .
وحسبي أني سأحاول ان اوضح لقراء الصحف اليومية .
أشياء كثيرة عن أسرار خطيرة . قرأوها على التوالى . ولم يفهموا
لها معنى .

أنا ادعى اوين يدولف

ولكي اقدم نفسي للقراء . اقول لهم انني تلقيت علومي
في اكسفورد . وأخذت استعد فترة ما للمحاماه ولما بلغت
سن العشرين . توفى والدي على أثر حادثة مشئومه . اثناء
الصيد فورثت نفسي من مدة . وارث الريع قدر بتسعة آلاف
جنيه في العام .

ومنذ ذلك العهد وأنا أقضى أيامى فى الترحال . . بين
مشارق الارض ومغاربها الى أن القتني المقادير فى احد أيام
الربيع فى مدينة جاردون . وهناك نزلت فى (الفندق الكبير)
الذي يطل على البحيرات الايطالية البديعة

وفى جاردون . تبدأ الحوادث الرائعة التى تورطت فيها
والتى كشفت لى أسراراً هائلة يشيب لهولها الولدان

* * *

قضيت فى ذلك الفندق بضعة أيام . عرفت فيها اكثر النزلاء معرفة ظاهرية .

وكانوا جميعا من علية القوم . وكلهم معروفون

وفى أحد الايام بينما كنت جالساً فى قاعة الطعام العامة أتناول غذائي فى هدوء . . اذا دخلت القاعة فتاة فى مقتبل العمر . غاية فى الرشاقة والجمال . تدل ثيابها الباريسية على احسن الاختيار وسلامة الذوق .

ودخل وراءها رجل قصير القامة بدين الجسم . اصلع الرأس . . فجلس الاثنان على المائدة المقابلة لى .

ولما جاء الخادم . طلب الرجل البدين طعاما له وللفتاة الآتية الذكر . وللحال . علمت من لهجته انه انكليزي صميم

وكان اختياره للطعام . دليلا واضحا على الرفاهية والتنعم =

قلت أن الفتاة كانت آية من آيات الجمال . وقد استلفت دخولها كل الانظار . .

ولاحظت انها والرجل الذي معها . قد تناولا الطعام بغير ان ينبس أحدهما ببنت شفه .

فكان من السهل جداً ان أدرك من ذلك . ان هناك

شيئا من الجفاء بين الاثنين .

ولكنهما قبل الانتهاء . أخذا يتكلمان ويتكلمان بصوت خافت . وبلهجة سريعة فاصخت السمع جيدا . ولكن لم اسمع شيئا . ولم اتبين في أى موضوع يتحدثان .

كانت للفتاة عينان زرقاوان عميقتان أقول الحق انهما ارتسمتا فى أعماق قلبي من النظرة الاولى .

وقد شعرت بدافع غريزى . يدفعني الى استقصاء أمرها فانتهيت من طعامي بسرعة ونهضت عن مائدتى ومررت بجوارها وعندئذ سمعت الفتاة تتكلم الفرنسيه الفصحى . ولكني لم أفهم أيضا فى أي موضوع كانت تتحدث .

* * *

وانتهزت فرصة وجود صاحب الفندق في الردهة الخارجية وكان الرجل يعرفني حق المعرفة لكثرة ترددى علي فندقه ولطريقة البذخ التى كنت أنفق بها . . فكان يتمنى دائما أن يقدم لي الخدمه التى أطلبها .

فلما سألته عنهما . قال لى بغير تردد أن الرجل وابنته انكليزيين . وانهما جاءا من ورنما فى الساعة الخامسة صباحا

أما اسم الرجل . :

وهنا أخذني الى دفتر الفندق . وهو يقول :

ـ لم يجيء اليوم من النزلاء غيرهما .

ثم نظر فى الدفتر . وقال .

ـ أما الرجل فيدعي ريشارد بننجتن . . وهو من ذوي الاملاك بسالسبري فى انجلترا . واماالفتاة . فابنته . وتدعي سليفيا بننجتن .

فقلت :

كنت أحسبهما فرنسيين

فأجاب :

ـ وأنا أيضا فانهمايتكلمانالفرنسية كا هلها .

ولذا كانت دهشتي عظيمة . حين قرأت فى الدفتر انهما انكليزي الاصل :

الفصل الرابع

في الليل

سليفيا بنتجتن ! !

وظل اسم الفتاة ووجهها يلازمانى كل الليل .

لماذا؟

لا أدرى .

اقول الحق أنه كان في الفتاة شيء يجذبني اليها .

ولم اكن اقرأ في عينيها معنى السحر فحسب . بل كنت اقرأ شيئاً آخر . أقرأ ضراعة خفية . كتلك التي تبين في عيني الشخص الذي يحتاج الى غوث .

وكنت قد أمرت خادمى لورترو أن يراقب الاثنين . . ويخبرني عن ملاحظاته .

فقال لى أنه استدرج خادم غرفتهما حتى علم منه أن الفتاة قضت كل ليلها في بكاء وعويل .

وأنها خرجت في الصباح المبكر لتتنزه على شاطىء البحيرة وخرجت وحدها

كان من الواضح الجلى . ان الحالة بين الاب والابنه ليست على مايرام .وان بينهما جفاءاً. أو بمعني آخر بينهما سراً عويصا .

. . .

وأردف خادى :

ـ خدم الفندق هنا يعتقدون أنهمافرنسيان ولكن يظهر أنهما يقولان بانهما انكليزيان .

على ان الرجل يتكلم الانكليزيه الصميمه. كأنهمن أهل لندن. وقدسمعته منذ نصف ساعة يسأل صاحب الفندق عن رسالة برقيه .

فقلت للخادم :

ـحسنا. راقبهما دائما يالورنزو. وأخبرنى عن كل ماتعلم وتلاحظ عن المستر بنجتن وابنته.

ان الابنة ليست لها وصيفة على مااعتقد؟

فاجاب الخادم :

ـكلا ياسيدى .

. . .

وكنت اعلم ان لورتزو شاب ماهر . وإنه يستطيع أن يفهم الكثير : ويستنتج الاكثر من احاديث الخدم

وكانت لى به ثقة عظمى . فهو يكتم أسراري ولا يبوح بها . ومادمت قد عبرت له عن رغبتي فى معرفة كل شيء عن آل بنجتن . فانى لم اكن فى شك من أنه سيبذل جهده حتى يعلم كل شيء .

وعند المساء . جلس الاب والابنة الى مائدة الطعام كالمعتاد .

وكانت الابنة قد استبدلت ثوبها البنفسجي الذى رأيته فى اليوم الفارط . ولبست غلالة بيضاء رقيقة . وقبعة بيضاء أيضاً وأيضا كانت فى منتهى الرشاقة وحسن الذوق .

* * *

وكانا هذه المرة يتكلمان الانكليزية فسمعت الرجل يقول

ـ انى سأخرج وحدى . لانتزه قليلا ساعة أو بعض ساعة . . فاذا لم أرجع قبل أن يرخى الليل سدوله . فلا تقلقى واعلمي أن امرا ما سيبقينى فى الخارج الليل كله

فقالت الفتاة بسرعة:

ـ الى اين ستذهب ؟؟

فأجاب .

ـ هذا من شأنى .

وهنا ساد الصمت

ولما نهضا . قصد الرجل الي غرفته . . وأخذت الفتاة تمشى امام باب الفندق . وما أبطأ الرجل أن عاد . مرتديا ثياب « الجولف » . فودع الفتاة بتلويح يده . . ثم واصل سيره بجوار شاطىء البحيرة .

. . .

اين يريد الذهاب هذا الرجل ؟؟

وأي عمل قد يستبقيه فى الخارج كل الليل ؟؟

لابد أن أعرف كل شيء . وأعرف على الخصوص سر الجفاء الذى بين الاب والابنة . .

انتظرت حتى ابتعد الرجل قليلا . . ثم انتهزت غفلة من الزوار ودلفت فى أثره .

وما لبثت ان شممت فى الهواء رائحة السيكار العاطر الذى يدخنه . فتبعته من كثب . .

نخرج من منطقة الفندق . وانحدر في أرض جرداء ـ تتخللها الهضاب والمرتفعات .

وكان الوقت مساء كما قلت .وقد أخذ الليل يرخي سدوله ـ فما زال الرجل يواصل سيره . حتي أشرف على المكان الذى يتفرع منه الطريقان . الي فيرونا و برسكيا .

وهناك جلس علي صخرة في مفترق الطرق . . وأخذ ـ يتنفس الصعداء . و يجيل الطرف حوله ذات اليمين وذات اليسار

. . .

فاقتربت منه . مختفيا تحت ستر الظلام . وودت ان أعرف ماذا يفعل هناك

وعلي حين غرة . لاح من آخر الطريق الموصل الى ـ برسكيا سيل من الضوء الساطع . فتراجعت الى الوراء كيلا لاينكشف أمرى

وما لبثت أن عرفت مصدر الضوء . اذا أقبلت سيارة . من الطريق الآنف الذكر .

وكانت مقبلة بكل سرعتها . حتى أشرفت على الصخرة التي جلس عليها بننجتن .

وهناك وقفت : ونزل منها رجلان . سمعت أحدهما يصيح :

ـ أوه . تعال أيها العجوز. اركب معنا .

يجب أن نرجع فى الحال . بغير أن نضيع لحظة واحدة .

كيف حال الفتاة؟

. . .

ثم دخلوا السيارة جميعا . فحولها السائق . ورجع بها أدراجه . .

فوقفت مدهوشا . أشيع السيارة بنظراتى. وأراها تغيب فى جوف الليل. وأنا اسائل نفسى :

ترى من هم أصحاب نجدتى ؟

وماذا كان يعني المتكلم حين قال (كيف حال الفتاة)؟

هل كان يعنى ابنته ؟

هذا الشخصان محوطان بالاسرار من كل ناحية

وعدت ادراجي الي الفندق. وأنا فى أشد حالات الدهشة

وعولت علي اكتشاف أسرار الفتاه التى احببتها من أول نظره.

فلما رجعت الى الفندق . وجدتها جالسة وحدها هناك تقرأ كتابا .

. . .

أخذت أختلس نحوها النظرات . . وأتحين الفرص للتحدث معها .

الى أن اتفق ومرت أمامي . . فلحقت بها وحييتها .

ولم أشعر بعد ذلك بدقائق . . الا وأنا أمشي مصاحباً الى جنب وهي تكلمني بالانكليزية الصميمة . . ورائحة ثيابها تملاء خياشيمى .

وارتاحت نفسي . عند ما علمت انها انكليزية .

وقد أجابت على سؤال القيته عليها بان قالت بصوت كانه أنغام الموسيقى :

— كلا . . كلا . أنا لا أشعر بالبرد . .

هذا المكان جميل . والجو هنا معتدل وأكثر دفئا من آخر مكان كنت فيه مع أبي . أنني كنت واياه في الفوج بفنلندا . .

فهتفت :

— يالله . . القوج ؟؟

— لماذا . .

ان هـذا المـكان فى آخر الدنيا انه يكاد يكون فى القطب الشمالى .

فضحكت ضحكة هادئة وقالت :

— نعم . . والبرودة هناك شديدة وهائـلة . والحياة مملة ومجلبة للـسأم والضجر .

— ولـكن لماذا تذهبين هناك فى فصل الشتاء ؟ ؟

فتأوهت وقالت .

— آه اننا نكثر الاسفار دائما . .

— أكبر ظني أنك سئمت ذلك ؟ ؟

فصاحت

— سئمت ؟ ؟. يالله . . كم أتمنى حياة هادئة خلوة من الاسفار

— واين بلدك ؟ ؟

ـ لا بلد لى الآن . .

نحن مشردون فى انحاء الأرض وقد أقمنا ردحا من الزمن فى انكلترا . .

ولكن وا آسفاه . . كان ذلك فى الماضي . .

ووالدى يضطر دائما الي السفر والارتحال . .

قلت :

ـ انني راقبتك . . ووجدت انك وحيدة . . وفى أشد الحاجة الى صديق

فهل تنكرين ذلك؟ ؟

فأجابت :

ـ كلا . . وا آسفاه . . لا أستطيع أن أنكر ذلك

نعم . . انى لا اصدقاء لي فأنا وحيدة . .

قلت :

ـ اذن فاسمحي لي أن اكون صديقك على أمل أن تثبت لك الحوادث اخلاصى . .

انني أيضا وحيد . . ولا اصدقاء لى . .

كما انني فى أشد الحاجة الي صديق أعتمد على نصحه ومشورته . . ولاريب أن خير صديق لرجل وحيد . . هو

امرأة طيبة مثلك . .

فدفنت وجهها بين كفيها . . وصاحت فجأة :

ـ كلا . . كلا . . أنت لا تعرف أنت تجهل كل شيء . .

لماذا تقول ذلك . .

فأجبت بحدة . .

ـ لماذا أقول ذلك ! ! . . أقوله لأنني راقبتك . ولأنني أصبحت على يقين من أنك غير سعيده .

* * *

فحبست أنفاسها . .

ورأيت وجهها الذى تلعب عليه اضواء القمر يكفهر . .

وظهرت عليها علائم التأثر الشديد . . ثم لم تلبث أن قالت بعزم :

ـ كلا . .

ـ يجب أن تقصى من ذهنك هذا الخاطر . . ولا تفكر مطلقا فى أن تكون صديقى . . :

لان الصداقة بيننا مستحيلة . . مستحيلة هل فهمت ! !

فقلت بسرعة :

ـ لعلك تمتعضين من صداقتي ! . .

فصاحت فى الحال . وهي تمس كتفى باناملها العاجية :

ـ كلا . . كلا . بل . . على العكس ، انك لاتفهمنى .
انك لاتستطيع أن تتصور مركزى . . أو تعلم أي خطر قد
يحيق بك بسببي . :

فقالت بدهشة :

ـ خطر ! ! . . ماذا تعنين ؟ ! ، .

فقالت بقلق :

ـ نعم . . انك فى خطر شديد . . فكن على حذر . :
واحترس : .

يجب عليك دائما أن تكون مسلحا : . لأن . .

ثم صمتت . ولم تزد . .

ـ لان ؟ ؟ . . ماذا ! ؟ .

قالت :

ـ حسنا . . لانك قد تتعرض لحوادث مهلكة . .
حوادث يدبرها لك بعض أعدائك . . .

فقلت :

ـ الحقيقة انني لا أفهمك يا آنسة . . . هل تريدين أن تقنعيني بان هناك مؤامرة تدبر ضدى ؟ !

فقالت :

ـ انى جادة فى تحذيرى اياك . . والحقيقة . انني جئت الي هناك . . كي أجد وسيلة الي الكلام معك . ، فاحذرك . وأقول لك كن على حذر . . وغادر هذا الفندق . . :

نعم . . أرجوك أن تغادر هذا الفندق . . وتغادره فى أقرب فرصة . . غداً صباحا مثلا . .

بحيث لا تدع صاحب الفندق يعرف عنوانك الجديد

اذهب الى مكان بعيد . : وعش متنكراً : . تحت اسم مستعار . . :

ودع اسمك يختفي . . كما لو كانت الارض قد فغرت فاها وابتلعته . .

فقلت بدهشة :

ـ وهل تعرفين اسمي أيضا ! !

فأجابت:

ـ هذا اكيد : .

ولكني أرجوك مرة أخري أن تغادر هذا الفندق . .

وأرجوك من أجل نفسك . وحرصاً على حياتك أن تقدر هذا التحذير التقدير الذي هو به جدير .

وانه فى الحق لمن المؤلم جداً ان اكون أنا . . من دون نساء العالم جميعا — التى تقدم لك هذا التحذير . .

فقلت :

— أنا احمل مسدسى دائما . . وقد تعلمت منذ زمن مضي كيف اصيب الهدف فى الحال

فقالت :

— مهما يكن من الأمر . . فعليك أن تكون دائما يقظا ساهراً . . محترساً من مفاجأت سرية هائلة يدبرونها ضدك في الخفاء : :

والآن . . وقد قلت لك الحقيقة . . وقمت بواجبي . فأرجو ان تسمح لي بالذهاب الي غرفتي .

فقلت بالحاح

— واذن لازلت تصرين على رفض صداقتى ؟ ؟

ومع ذلك فأنت قد اثبت انك اخلص اصدقائى ؟ ؟

مادمت قد صارحتيني بكل هذا.

فقالت

نعم . ولكنـك لاتعرف الحقائق المرة .

ـ نعم لو كنت تعرف هذه الحقائق ٠لما كنت تخاطر بطلب اصدافتي . بل بالعكس . . كنت تسرع بالفراءنى وتلعنني

فادهشني قولها . واوقعني فى حيرة شديدة

قلت .

ولكن لماذا ؟ ؟

ان كل كلماتك الغاز وأحاجي .

. . .

صمتت :

ثم شعرت باصابعها المتشنجة تقبض علي ذراعى بقوة :

وبعد لحظة . رفعت وجهها الى . . وحملقت فى عيني . .

ثم قالت بسرعة ، وهى تلهث :

لان . . لان الصداقة بيننا مستحيلة ولا يجب ان تكون لان صداقتي لك تـكون مشئومـة عليك . . وعلى فى وقت واحد .

لان الصداقة بيننا معناها الموت : . نعم
الموت السريع . اليوم مساء . : او غدا صباحا .. او بعد
اسبوع على الاكثر .

ولكنه موت لاشك فيه

اما انا فمتأهبة للموت لانني فقدت كل شيء

نعم . انني فقدت كل شيء

وانما انت يجب ان تحتاط لنفسك : فخذ كلماتي نصيحة
خالصه واعمل بها فى الحال وغارد هذا الفندق واهرب من
الموت الهائل المخيف الذي فرضه عليه اعداؤك

اهرب طالما يوجد لديك متسع للهرب

ثم اردفت بتأثر :

ولا ريب انه سيأتى يوم فى المستقبل تشكر فيه هذه
المرأة التعيسة التى انقذت حياتك من غير ان تشعر
المرأة التعيسة التي لاصديق لها

فقلت

ـ ولكنى سأصير صديقك

قالت :

: كلا . .

هذا مستحيل

وارتجف بدنها .. واردفت:

اكرر عليك القول للمره الاخيرة اهرب واهرب : .

سرا ولا تترك أحدا يتأثر خطاك . أو يعرف مقرك::

وتذكر دائما انما لا يجب أن نكون اصدقاء

لان الصداقة ستكون شئوما علينا نحن الاثنين ...

قالت ذلك ثم مدت يدها مودعه فشددت عليها

ومكثنا كذلك لحظة ويد كل منا فى يد الاخر

ثم انفصلنا. فجذبت وشاحها الحريري حول عنقها

ودخلت الفندق

أما أنا فوقفت مذهولا .. مدهوشا كأن قدماي سمرا

بالارض. والرائحة الزكية التى تركتها الفتاة وراءها لا تزال تملا

خياشيمى

تساءلت

ترى ما كل هذه الاسرار !؟

وما هي هذه الحقيقـة المخيفـة التى لاتريد الفتـاة ان تـكاشفى بها

وفجأة :.شعرت بالانفاس تتحشرج في صدرى.

ذلك لانى رأيت فجأة فى الظلام الدامس خلف احدي الاشجار شبح رجل طويل القامة كان يرقبنا عن كثب . .

ولا شك انه سمع مادار من لحديث بيننا.

الفصل الخامس

السر

مامعني كل هذا ؟!

ولماذا كان الرجل يرقبنا

نظرت اليه بحدة ؛ ولكنه لم يتحرك من موضعه رغم اني اكتشفت امره .

وفي الحال ازدحمت في رأسي جميع التحذيرات التي قالتها لي الفتاة .

وقفت في مكاني منتظرا ان يتحرك الرجل من موضعه كي اري وجهه

اتلفتني كلمات الفتاة وازداد قلقي حين وقع بصري على هذا الرقيب الخفي

أنا لا اعرف لنفسي اعداء . فمن تراهم يكونون أولئك الاعداء الذين قالت انهم يتآمرون على حياتي ؟

وهل يجب ان آخذ كلامها قضية مسلمة وأرحل

جعلت افكر فى كل هذا والرجل الخفى فى موضعه لا يتحرك

. . .

وأخيرا تحرك . وكم كانت دهشتى عظيمة . حين رأيت انه يلبس ثياب القسوس .

وقد أستعملت منْ خادم الفندق فعلمت أن هذا القس يدعى شانلورث وانه جاء ليقضى ليلة فى الفندق وفى عزمه أن يرحل فى ظهر اليوم التالى

. . .

وقد قضيت تلك الليلة وأنا أسترجع كل مامر بى.

وفى الصباح .. بعد أن تناولت طعام أفطاري . اردت أن اتنزه حول البحيرة فوقع بصري على الفتاة والقس وقد جلسا جنبا الى جنب

وكان القس يحدث الفتاة بشيء هام وهى تصغى اليه ولا تحير لفظا

ودامت جلستهما اكثر من نصف ساعة ثم نهض القس وامر الخادم ان يأتيه بحقائبه

وكان القارب التجاري الذى يقل المسافرين الي ريجا قد

أقبل فركبه القس

وقصدت لتوي الى الفتاة ففاجأتني بقولها :

ـ لماذا لم تعمل بكلامي

لماذا لم ترحل ؟

اذهب بربك . اذهب قبل فوات الفرصة

وقرأت من عينيها العجيبتين من معاني العتاب ما أوقع

الرعب في قلبي

غير أنني قلت

— ولماذا أذهب . وأي خطر يهددني هنا !!

فهمست :

— خطر ما حق ،

اذا كنت تصنع لحياتك ثمنا فارحل من هنا

قلت :

ولكن من هم أولئك الاعداء الذين يهددونني .

ينبغي عليك أن تخبرني لآخر حذري .

— ليس في مقدورك الا أن تهرب من هنا باسرع ما يمكنك

— ولكن . يجب عليك بحق الصداقة أن تخبرني بسر

المؤامره التي تدبر ضدى فى الخفاء .

ـ الصداقة ! ! ألم أقل لك بالامس أن كل صداقة بيننا مستحيلة :

ـ لا افهمك

كل الذي اعلمه. أني لا يوجد لى اعداء فى الوجود فلماذا؟

خاف المجهول :

فصاحت بيأس :

ـ يالله . . الا تريد أن تفهم . ارحل من هنا . وعد الى لندن وخبىء نفسك هنالك حتي ينقشع الخطر

قلت :

أنا لا اخاف هـا الخطر المجهول يا آنسة

واذا كان فى نية هؤلاء الاعداء المجهولين أن يهاجمونى فأنى قادر على الدفاع عن نفسي

ـ ولـكنهم لن يهاجمونك وجها لوجه

آه . بهذه المناسبة . أني رأيت هذا القس الذى كان يحدثك الآن وقد كان يرقبنا خلسه

فمن هو .

نه المستر شاتلويرت وهو من اصدقائي القدماء ولم أكن
علم أنه سينزل بهذا الفندق .

ـ ولماذا كان يرقبنا

ـ لا اعلم انه تعمد ذلك ولكن لا يجب ان تخشى ادموند
شاتويرث انه اكرم اصدقائي على

ـ ألا يزال والدك غائبا .

ـ انا لا انتظر مجيئه قبل هذا المساء

ـ ولكن لماذا تصرين على وجوب رحيلي من هنا ؟ !

ـ لقد قلت لك الاسباب وكلمتك فى صالحك الخاص
ولا زلت الح عليك بالرحيل
ارحل من هنا
قلت

ـ انا لا أخاف على نفسي ولكن كل خوفي عليك أنت
فصاحت :

ـ كلا . اطمئن من جهتي : انما يجب ان ترحل

ـ ولا أراك أبداً ؟؟

ـ اذا رحلت اليوم فاعدك أن اراك فى انكلترا . .

حسناً . اتفقنا انك وعدت

نعم : اني اعدك فاعطني عنوانك وسوف تراني في لندن

الفصل السادس

القس

وقد عدت الي انكلترا واخذت اعيش عيشة النبرخ التي تعودتها ، ولكن خيال سيلفيا لم يبرح مخيلتي أبدا

وفي أحد الايام قال لي خادمي الخاص ان رجلا يرتدي ثياب القسوس جاء يستفسر عني : ويستفهم عن حالتي المالية ومركزي في الهيئة الاجتماعية ولكنه رفض أن يبدي اليه بشيء من التعليمات وانتهره بخشونه

فأخذت افكر فيمن عساه يكون هذا القس وأخيرا تذكرت المستر ادمون سالورث

وتناولت (دليل الكنيسة) وبحثت فيه عن عنوان القس فوجدت انه في مدلتن فقصدت اليه ولحسن الحظ وجدته في

ابريشته وعندماوقع بصره على هتف؟ المستراوبين يدولف.

فأجاب الشاب . وعلى شفتيه ابتسامة . .

ـ نعم . . هأنذا أراك قد عرفتني . . رغم اننا لم نتقابل غير مرة واحدة بطريق الصدفه .. بالقرب من بحيرة جاردا .

واذا كنت قد تطفلت عليك الآن فانما لأعتذر لك عن فظاظة خادمي : : حيال الزائر الكريم الذى من يتى منذ بضعة أيام . . والذي عرفت انه انت بالذات . .

فضحك القس ببساطة وقال :

ـ أواه يا عزيزي . . انه لم يفعل غير ما يجب عليه بصفته خادمك : . وقد ساءه فضولى . ومداخلتى فى أمرك ، وكان على حق فى ذلك :

فصاح الشاب :

عل انى جئتك لامر آخر

ـ نعم . . انني جئت الآن الا لأعرف المزيد عن الآنسة بنتجين .

فاخبرني كل شيء عنها :

انهاقالت لي انك صديقها واهأنذا أرى انك تحتفظ بصورتها

فقال الصوت البعيد :

ـ انا جاك .. جاك ماولوى . اهذا أنت ياأودين

ان صوتك متغير جداً ؟؟

فقال الشاب :

وصوتك انت ايضا . ان الاصوات يطرأ عليها تغيير

كبير فى التيفون

اين انت؟

فاجاب صاحب الصوت :

أنا فى ميور نشتر ، وقد وقعت فى ورطة ، هل تستطيع

المجيء الى هنا ؟

قال :

بكل تأكيد .. وسأجيئك فى الحال .. يمكنك الاعتماد

على فى كل وقت . قال ادين

وعرفت منه العنوان وقصدت اليه فى الحال

الخاتمة

وقد حدثت لى فى ذلك البيت الذي قصدت اليه لاغاثته

فتردد الشاب . .

هل يجب أن يبوح له بكل شيء . . ويحدثه بالحقيقة ؟ !

ثم قال :

ـ انها صرحت لى بأنه يحسن بنا أن نكون بعيداً عن بعضنا البعض . .

فتأوه الرجل . . ثم أردف :

ـ نعم . . وقد قالت لك الحق يا مستر بيدولف . .

قالت لك الحق الصراح . .

فصاح الشاب . .

ـ ولكن لماذا ؟؟ . .

حدثنى بربك بكل ما تعرفه عن هذا المدعو بننجتن . .

فأجاب القس :

ـ آسف جدا انني لا أستطيع . . وغير مسموح لى أن أقول كلمة واحدة : :

ـ ولماذا . . .

. . .

وهنا صمت القس . .

وطال صمته بضع دقائق . . كان الشاب فيها على أحر من الجمر . .

وأخذ القس يقلب لفافة التبغ بين أصابعه . . ويرسل بصره من النافذة المطلة على ميدان لعب « التنس »

ثم تحول أخيراً الي الشاب . . وقال له ببطء . . :

ـ ان القسوس يقعون فى غالب الاوقات على أسرار عائلية خطيرة . . ولكن مهمة القس أن يمنح الغفران وواجبه أن يكتم أسرار الاعتراف . .

ثم أردف :

ـ وعليه : . فارجوك مرة أخري : . ألا تطلب الى الاخلال بواجبي . . ومقتضيات اعمالى

. . .

وكان فى قوله من التعنيف الهادىء ما فيه . .

وشعر الفتى بذلك : وشعر فى الوقت ذاته : : انه تجرأ فى حميته وعنفوان فضوله ان يسأل الرجل ان يبوح بسر لاعتراف

وعليه . . فقد وجد من واجبه هو الآخر ان يعتذر . . .

ولكن القس قاطعه بهدوء. وهو لا يرفع عينيه الحادتين عن وجهه

ـ كلا.. انا لا اطلب منك اعتذارا .

ولكني اسألك المعذرة اذا وجدتني اقدم لك نصيحة بسيطة نصيحة خالصة اعتقدالي لصالحك دون غيرك

فهتف الشاب .

وماهي ياسيدي!!

فقال الرجل بلهجته البطيئة العادية . . وقد تقلصت تقاطيع وجهه بشكل غريب :

هي ان تبتعد بقدر امكانك وجهد طاقتك عن المدعو بنجتن وابنته . .

فصاح الشاب وقد ازدادت حيرته من ذي قبل

ولكن لماذا تقول لي هـذا القول وانت كما اخبرتني بلسانك من لحظة واحده الصديق المخلص لسيلفيا؟

فاجاب القس :

انني اقول لك ذلك لانني اري من واجبي ان احذر اولئك الذين اراهم يسيرون نحو الهوة بغير ان يشعروا

فقال الشاب

وهل تظنني امشي نحو هاوية ما

فاجاب القس وهو يضبط على الالفاظ ضبطا على سبيل التأكيد

نعم ياسيدى يوجد فى طريقك قبر فاغر فمه لابتلاعك والانطباق عليك

وخلف هذا القبر تقف هذه الفتاة

واشار باصبعه الى الصورة المعلقة فوق الجدار

ثم اردف :

اذا اردت الوصول الى هذه الفتاة فلا بد من وقوعك فى القبر

وما هذا القبر الا فخا قد نصب لك بمهارة وخبث فنصيحتى لك هى الا تحاول مالا يمكن الوصول اليه

ولاحظ الشاب ان القس يتكلم بلهجة جدية فقال بياس وهو يرى المعضلة تزداد تعقيدا من لحظة واخرى

– ولكن لماذا

لماذا لاتصارحنى القول . انا أعترف لك بانني

فقاطعه القس بسرعة وهو يحملق فى وجهه

ـ بانك تحبها اليس كذلك

وتأوه . ومرت سحابة مظلمة فوق وجهه الشاحب

ثم اردف

هذا ما فهمته . وهو فى الحق حب مشئوم

انك شاب فى مقتبل العمر وعنفوان الشباب

وهي بدورها صبية حسناء على جانب كبير من الرقة والدعة

فبديهي ان يسحرك شبابها : ويجذبك سحر صوتها

ولكنك لا تعلم يامستر بيدولف كم اتمنى أن يكون.

فى مقدرتي أن ابوح لك بالحقيقة على علاتها لتعلم كم هى رائعة ومخيفة تلك الحقيقة

ومع انني صديقها وتستطيع أن تعتبرني صديقك أنت أيضا ولكني مضطر بكل اسف ان الزم جانب السكون واظل صامتا كالقبر

ان مقتضيات الاعترافات المقدسة تحتم على الصمت والسكوت

صل السابع

البيت المظلم

تكلم ادمون شاتلورث . . وذكر الحقيقة . .

وأدرك الشاب من طلعته الوقوره . انه لم يذكر غير الحقيقة . . وانه رجل أمين . . صادق . .

ولم يستطع الشاب رغمه الا أن يعترف بصدق القس . .

ولكنه مع ذلك كان يحب سيليفيا . .

ولماذا لا يعترف بذلك ؟ ؟ وهو أول نوع من الحب عرفه فى حياته ! ؟ . ذلك النوع الذى يخلق الرجل خلقا جديدا . . ويرده غريبا حتى على نفسه . .

* * *

وأخذت أيام الربيع تجر بعضها جراً . . والشاب فى هم دائم . . ويأس مقيم . .

فهو يعيش فى دهشة . . وعجب . . وحذر

وكان يشعر دائما . أن القس قد ذكر الحقيقة . . وان هناك هوة سحيقة بينه و بين الفتاة التى يحبها . .

وراح يسائل نفسه .

ـ نرى أين هى الآن ! ! : .

لم يجسر أن يكتب لها فى جاردون . . لانها منعته من ذلك . . بل والحفت عليه الا يفعل . .

لا ريب انها غادرت هذه المدنية . .

ألم تقل انها كثيرة الانتقال والترحال . .

وان أباها ـ ذلك لرجل البدين الاصلع الرأس لا يكاد يفترق فى شىء عن اليهودى التائه المعروف ! !

وانقضي شهر مايو . . وأقبل شهر يونيو . .

وساد فى لندن موسم اللهو والمسرح فأخذ الفتى يقضى أيامه حيثما اتفق بين المسارح ومنتديات القمار وأماكن المراهنات وكان يدعى كثيرا ولا يلبى الدعوة الا نادرا وتغيرت طباعه دفعة واحدة وأخذت تنتابه فى الليل بعض الافكار المزعجة لكنه كان ينتهي بالقائها ظهريا فيقول لنفسه

ماذا يجب ان اخشى ؟ است اعرف لى عدوا فاحذره

وعاد صديقه جاك مارلوي من الدانيمارك وهو ممتلىء صحة وعافية فخطر لصاحبنا ان يقص عليه كل شيء لكنه

عاد فخاف أن يهزأ به صديقه

ترى ماهو السر الذي يحرص عليه القس كل هذا الحرص

انه على كل حال خطير

وقد ذكر الرجل انه عرفه من الاعتراف فترى اى

اثم اقترفته سيلفيا واعترفت به للقس طلباالصفح والغفران

ومرت الايام تلو بعضها والشاب يقضى بعض اوقاته فى منزله

بشارع ولن ومشغله الشاغل التفكير العميق فى ذلك الاثم الذى

يحتمل ان تكون الفتاة قد اقترفته

وفى مساء احد الايام تناول اوين طعام العشاء في مطعم رتنر

الذي يختلف عليه عليه القوم الموسرون وعاد الى بيته

حول الساعة الواحدة بعد نصف الليل

ثم امضي نصف ساعة وهو يتقلب فى فراشه ذات اليمين

وذات اليسار.. الي أن دق جرس التليفون فتناول سماعة آلة التليفون

.وسمع صوتا يصيح :

آلو . آلو . اهذا انت يا ودين؟؟

فاجاب الشاب :

— نعم .

وأشار الى صورة معلقة بالجدار

فأجاب الرجل ببطء وبهيئة جديه

ـ هذه هي الحقيقة : ان سوذ : ان سيلفيا صديقتي

وسعل بسرعة . . ليخفي الخطأ الذي وقع فيه عندما نطق باسم الفتاة .

فقال الشاب :

ـ اذن حدثني عنها . . وقل لي كل ما تعرف بخصوصها وخصوص أبيها .

فمن هي . . ومن أبوها ! !

انها الحت على بمغادرة جاردون على جناح السرعة . . وقد نزلت على رغبتها

وهذا هو السبب الذى جاء بي الى لندن . . بينما كان يجب أن أواصل سياحتي السنوية في انحاء اوروبا : .

* * *

وهنا قال الرجل بدهشة

ـ تقول انها الحت عليك بمغادرة جاردون ! !

ولكن لماذا ابعدتك عنها ؟ . .

صديقي مرلوى حوادث مخيفة . فقد قبض على رجلان احدهما بنجين والدسليفياوارغماني على توقيع صك بمبلغ عشرة الآف جنيه

ولكن حدث لحسن الحظ أن سليفيا اقبلت وحلت وثاقي . ووثاق مارلوى الذى وقع فى هذه الورطة قبلى

وابلغت الامر للبوليس فالقي القبض على بنجتن ورفاقه وهم يحاولون صرف التحويل من البنك .

ولم اكن افعل ذلك لولم تعترف لى سليفيا بان بنجتن ليس والدها . وبأنه هو ورفاقه هم اعضاء عصابة دولية كبيرة تطلق علي نفسها اسم ابناء الليل وهى تعمل على الايقاع بالاغنياء بوسائل شتى .

وقد قالت لي سيلفيا ان اسمها الحقيقي سونيا . وان والدها يدعى فيليب بولاند . :

اما بنجتن هذا فهو يدعى ارنولد دوكان . وهو لص دولى خطير :

واعترفت لى أن والدها اشترك فى مؤامرة سياسية . وحكم عليه بالنفي . ولكنه استطاع الفرار . وهى تعرف مقره

وقد ذهبت بي فيما بعد الى والدها فيليب بولاند الذي كان يعيش متنكرا في ضواحي لندن .

وقص فيليب كل قصته علي ثم قص خبر توبته

وبعد أن سرد حكاية القبض عليه التي اتينا عليها في بدء هذه القصة قال

ولم اعرف سر الرجل الذي وجد قتيلا في الاسطبل الا بعد ان قضيت الايام والشهور وانا افكر وافكر في منفاي بجزيرة الشيطان .

ويظهر ان ارنولد دوكان اراد ان يتخلص مني فارسل رجلا من اعوانه تنكرا بزي هنري جرنان البوليس السري الفرنسوي لكي يحملني على الانتحار .

وكتب في الوقت نفسه الى جرنان الحقيقي فقبل هذا الاخير بسرعة لم يتوقعها ارنولد دوكان.

والظاهر أن أرنولد خاف أن اعترف للبوليس السري بكل شيء . وأدله عليه (أى على أرنولد) فيقبض عليه قبل أن يستطيع مغادرة البلاد الانكليزية . فلذلك كمن له وأراد

نه يمثك به . فتتك بشريكه (المتسكر بزي البوليس السرى)
بدون أن يعلم .

هذا وقد أثبت التحقيق أن القس شاتلورث كان من
شركاء أرنولد دوكان وأصحابه فيامضي

وكان شاتلورث هذا يحقدأشدالحقدعلى فيليب بولاند
لانه فاز بالمرأة التى كان يحبهاشاتلورث قبل أن يصبح قسا ،
والتي أصبحت فيما بعد والدة سونيا ،، فدفع بهذه الاخيرة
الى أيدى أرنولدوأعوانه، رعيا م هبأنهم من أكرم الاصدقاء
على والدها ، وذلك لكي يستميل أرنولد وعصابته بسونيا
وجمالها فى الايقاع بالاغنياء ،،

ومن هذا يتضح السبب الذي دفع سونيا الى تحذيرى
فانهم حتموا عليها أن تعزيني ، وتة ضني فشاء الله أن تقع فى
حبي وتنقذني ،

تمت